**محاضرات في الفنولوجيا**

**محاضرة رقم 02**

**فروع علم الأصوات:**

فروع علم الأصوات كثيرة ومتعددة، تختلف باختلاف نظرتنا إليها، فإذا نظرنا إليها على أساس أنها أحداث كلامية تصدر من منتج الصوت إلى أن تصل إلى أذن السامع فهي تنقسم إلى ثلاثة علوم هي:

1. **علم الأصوات النطقي:** الذي يعنى بدراسة أعضاء النطق ومعرفة كيفية إنتاج الأصوات اللغوية، وتحديد مخرج كل صوت وصفاته في أي لغة كانت؛ لأنه يدرس الصوت منفردًا، وهو أقدم فروع علم الأصوات.
2. **علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي):** الذي يُعنى بالصفات الفيزيائية للأصوات وتركيباتها الطبيعية، وكيفية انتقالها من منتج الصوت إلى أن تصل إلى أذن السامع، دراسة اختبارية قوامها الذبذبات الصوتية والإلكترونية، بغض النظر عن ظروف إرسالها واستقبالها.
3. **علم الأصوات السمعي:** الذي يُعنى بكيفية حصول سماع الصوت في أذن الإنسان، ويقوم على جانبين الأول: عضوي مخرجي، والآخر نفسي. ويهتم بالذبذبات التي يستقبلها صِوان الأذن، والتي تصطدم بغشاء الطبل، وأثر هذه الذبذبات في المتلقي. وهو أحدث فروع علم الأصوات؛ لأنه يدرس ميكانيكية الأذن وكيف تتحول الحركة من ذبذبات إلى حركة ميكانيكية ثم حركة سائلة ثم كهربائية. ويحجم كثير من الدارسين عن ولوج هذا العلم لدقته وصعوبته.

وهناك فرع رابع يسمى التجريبي: وهو الذي يعتمد التجارب والأدوات والوسائل المتطورة.

\*وأما إذا نظرنا إليه من حيث منهج الدراسة؛ لأنَّ علم الأصوات فرع من علم اللغة، فإنه ينقسم إلى عدة أقسام:

1. **منهج علم الأصوات الوصفي:** وهو دراسة ووصف الظاهرة الصوتية في مرحلة زمنية معينة وبقعة جغرافية محددة. وهو يدرسها كما هي، ولا يدرس الظاهرة الصوتية بغرض تصحيحها أو انتقادها أو لأهداف أخرى غير الوصف كما لا يتورط في تخطئتها.

فهو يبحث عن الحقيقة في ذاتها ليس إلا، واكتسب المنهج الوصفي شرعيته لأنه لم يكتف بدراسة اللغات المكتوبة فقط، بل تعداه إلى دراسة اللهجات وهو لا يدرس اللغة النموذجية التي صنعها النحاة واللغويون، بل يصف الظاهرة الصوتية في الاستعمال العادي، وهنا وجب التنبيه إلى أمر مهم وهو أنَّ الباحث يلزم نفسه بالموضوعية والشمولية، فالموضوعية تقتضي أن يتخلى الباحث الصوتي عن ميولاته وعن آرائه المسبقة، وأن يقبل النتيجة التي توصل إليها حتى وإن كانت مخالفة لتوقعاته، لأنَّ الدراسة العلمية تقتضي ذلك، كما يجب عليه أن يوسع دراسته لتشمل أكبر عدد من الناطقين بهذه اللغة أو اللهجة لتكون النتيجة قريبة إلى الصواب والحقيقة.

1. **منهج علم الأصوات المقارن:** وهو المنهج الذي يقارن بين أصوات لغتين شقيقتين تعودان إلى أصل لغوي واحد كالعربية والعبرية مثلًا، أو كالفرنسية والإيطالية، ليبيّن الصلات التاريخية، والقرابة الأسرية بين اللغتين، ويرصد نقاط التشابه والاختلاف بين أنظمتها الصوتية، كما يدرس أصوات لغة واحدة بين مرحلتين مختلفتين من مراحلها، لأنَّ اللغة تتطور وتتبدل أصواتها لعدة عوامل، والتطور هو أصل في اللغات والثبات هو الشاذ ولم يحدث إلا في اللغة العربية الفصحى، أما في اللهجات الدارجة فقد تطورت الأصوات تطورًا متفاوتًا.
2. **منهج علم الأصوات التاريخي:** وهو الذي يدرس تطور وتحقق أصوات لغة عبر الزمن، ويرصد التغيرات الصوتية من عصر إلى آخر وذلك بهدف ملاحظة تطورها وما أصابها من تغير وتبديل في مسارها الطويل، والقوانين التي حكمت هذه التغيرات، والعوامل التي أسهمت في هذا التبديل، ولا يستطيع المرء أن يرصد التغيرات دفعة واحدة؛ لأنها حدثت في مراحل مختلفة وأزمنة متباعدة، ونطق بها جيل بعد جيل.
3. **منهج علم الأصوات العام:** وهو المنهج الذي يبحث في النظريات العامة للغة الإنسانية، ويعنى بالصفات المشتركة للأصوات في جميع اللغات، وبالمسائل المتعلقة بها. ويدرس الجهاز الصوتي ووظيفة كل عضو، كما يبحث في طرق إنتاج الأصوات وتصنيفها، دون الاختصاص بلغة معينة.

\*وهناك تقسيم آخر هو الفونيتيك والفونولوجيا، بين المادة الخام والقوانين العامة، أو دراسة الأصوات اللغوية مجردة مفردة، والأخرى لما تنتظم في تركيب وتؤدي وظيفة.

1. الفونيتيك Phonétique: هو العلم الذي يدرس الأصوات مفردة ومجردة، ويكتفي بالإشارة إلى طريقة إنتاجها وانتقالها واستقبالها، وتركز على الصوت المفرد بغض النظر عن اللغة التي ينتمي إليها، بل حتى ولو كان الدارس لا يعرف هذه اللغة ولا ينطق بها ولا يتواصل مع ناطقيها؛ لأنه يدرس الصوت المجرد، الخام، وهو يرتبط بفرع آخر من المعرفة، كعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء (الفيسيولوجيا).
2. الفونولوجيا Phonologie: يطلق على الدراسات التي تعنى بالقوانين الصوتية، والنظام الصوتي للغة ما، ووظائف هذه الأصوات في التفرقة بين الوحدات اللغوية، وتحاول الكشف عن مدى تأثر الأصوات بعضها ببعض عندما تنتظم في تركيب وترصف الكلمات في جمل، كما تصنف إلى وحدات تقابلية، وهي تعتمد على التقنين والتقعيد، وينبغي لسالك هذه الدراسة أن يكون على معرفة بهذه اللغة وبوظيفة أصواتها، وقدرتها على تغيير المعنى أو عدم تغييره كما هو معلوم في قضية الفونيم Phonème و الألفون Allophone.

**وخلاصة القول:** أن الأول يدرس الأصوات مجردة بصفة عامة، في كل اللغات دون الاختصاص بلغة دون الأخرى، والثاني يدرس الأصوات ووظائفها في لغة واحدة ويراعي المعنى والدلالة في التفرقة بين الأصوات.

درس العرب أصوات لغتهم في مرحلة زمنية مبكرة على يد الخليل وسيبويه، وابن جني وغيرهم، وكانت هذه الدراسة وسيلة لا غاية، فدراسة الخليل خدمة لعلم المعاجم، ودراسة سيبويه خدمة للدراسات الصرفية والنحوية، ثم جاء ابن جني الذي وضع أركان هذا العلم ورفع بنيانه بتأليفه كتاب «سر صناعة الإعراب» الذي خصصه لعلم الأصوات، ثم حمل لواء هذا العلم القرّاء وعلماء التجويد واعتنوا به عناية خاصة، ولم تخرج أقوالهم عما رسمه اللغويون والنحاة الأوائل، فقد سلكوا طريقهم، وترسموا خطاهم وكان هدفهم خدمة كتاب الله، ولم تتعد هذه الأمور إلى مجالات تطبيقية أخرى.